المحجة فى سير الدلجة

تأليف الشيخ الامام العلامة الحافظ زين الدين ابي الفرج
عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد بن رجب الحنبلى
البغدادى ثم الدمشقى المتوفى سنة ٧٩٥
تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته
آمين

عنى بتصحيحه والتعليق عليه
الاستاذ الشيخ عبد الرحمن ابو محمد

الطبعة الاولى

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه نستعين وعليه نتوكل ﴾

خرج البخاري في صحيحه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لن ينجي منكم احدا عمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجه والقصد القصد تبلغوا وخرجه ايضا في مواضع أخر في كتابه ولفظه ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجه وخرج ايضا من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ انه قال سددوا وقاربوا وابشروا فانه لا يدخل الجنة احد بعمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بمغفرة ورحمه . وخرج ايضا من حديثها عن النبي ﷺ انه قال سددوا وقاربوا واعلموا انه لا يدخل احدكم عمله الجنة وان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل

اشتملت هذه الاحاديث الشريفة على اصل عظيم وقاعدة مهمة عليها مسائل وشيء من مسائل السير والسلوك الى الله تعالى في طريق الموصل اليه . أما الاصل فان عمل الانسان لا ينجيه من النار ولا يدخله الجنة وان ذلك كله انما يحصل بمغفرة الله ورحمته وقد دل القرآن العزيز على هذا المعنى في مواضع كثيرة كقوله تعالى (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا) الآيه وقوله تعالى (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) الآيه وقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار . فقرن بين دخول الجنة والنجاة من النار وبين المغفرة والرحمة فدل على انه لا ينال شيء من ذلك بدون مغفرة الله ورحمته . قال بعض السلف

الآخرة اماعفو الله اوالنار والدنيا اماعصمة الله اوالهلكه . وكان محمد بن واسع يودع اصحابه عند موته و يقول عليكم السلام الى النار او يعفو الله فأما قوله تعالى (وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئاً بما اسلفتم فى الايام الخالية) فقد اختلف العلماء فى معنى ذلك على قولين . احدهما ان دخول الجنة برحمته ولكن انقسام المنازل بحسب الاعمال قال ابن عيينة كانوا يرون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة بفضله و اقتسام المنازل بالاعمال . والثاني ان الباء المثبتة فى قوله تعالى بما كنتم تعملون و قوله بما اسلفتم فى الايام الخالية باء السببية وقد جعل الله العمل سبباً لدخول الجنة و الباء في قوله ﷺ ان يدخل احد الجنة بعمله باء المقابله والمعاوضه و التقدير لن يستحق احد دخول الجنة بعمل يعمله فأزال بذلك توهم من يتوهم ثمن الاعمال و ان صاحب العمل يستحق على الله دخول الجنة كما يستحق من دفع ثمن سلعته الى صاحبها تسليم سلعته فنفى بذلك هذا التوهم وبين ان العمل وان كان سبباً لدخول الجنة فانما هو من فضل الله ورحمته . فصار الدخول مضافا الى فضل الله ورحمته ومغفرته لأنه هو المتفضل بالسبب والمسبب المرتب عليه ولم يبق الدخول مرتباً على العمل نفسه

وفى الصحيح عن النبي ﷺ ان الله عز وجل يقول للجنة انتى رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادى وفي هذا قيل

ماللعباد عليه حق واجب * كلا ولا عمل لديه ضائع

ان عذبوا فبعدله اونعموا * فبفضله وهو الكريم الواسع

فان قيل روى حبيب بن الشهيد عن الحسن انه قال الحمد لله ثمن كل نعمة ولا اله الا الله ثمن الجنة . وروي هذا المعنى مرفوعاً من حديث ابي ذر و أنس وغيرهما و ان كان فى اسانيدها ضعف و يشهد لذلك قوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يُقتلون وعدا عليه حقاً فى التوراة و الانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم

الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .فجعل الجنة ثمناً للنفوس والاموال . فالجواب ان الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه ومنه وطوله خاطب عباده بما ند بهم اليه من طاعته على حسب ما يتعارفون بينهم فى تصرفاتهم المعهودة المألوفة لهم وجعل نفسه مشترياً منهم ومستقرضا وجعلهم بايعين له ومقرضين له ليكون ذلك ادعى الى استجلابهم لدعوته ومبادرتهم الى طاعته والاففى الحقيقة الكل له ملك ومن فضله واحسانه ورحمته فالنفوس والاموال كلها ملك له كما امرنا ان نقول عند المصائب انا لله وانا اليه راجعون ومع هذا فقد مدح من بذل نفسه وماله وجعله بايعاً له ومقرضا كالذى له ملك يبيعه ويقرضه لغيره ممن لا يملكه عليه كذلك الاعمال كلها من فضله ورحمته وقد مدح عليها ونسبها الى عاملها وجعلها شكراً منهم لنعمه ومكافاة لها وقد روى ابن ماجة من حديث انس مرفوعاً ما انعم الله على عبد من نعمة فقال الحمد لله الا كان ما اعطى أفضل مما اخذ وكذا قال عمر بن عبدالعزيز والحسن وغيرهما من السلف واشكل ذلك على كثير من العلماء قديماً وحديثاً وعلى ما قررناه معناه ظاهر فان المراد بالنعم النعم الدنيويه ولكن لما كان الحمد منسوباً الى العبد لفعله له وقيامه به جعله الله معطيا لاعظم النعمتين مكافياً بها للنعمة الاخرى ولهذا جاء في الاثر الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويدافع نقمه ويكافي مزيده فبهذا الاعتبار يكون الحمد ثمنا للجنة وعند تحقيق النظر فالجنة والعمل كلاهما من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين ولهذا يقول اهل الجنة عند دخولها الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فلما اعترفوا بنعمته عليهم بالجنة وباسبابها من الهداية وحمدوا الله على ذلك كله جوزوا بأن نودوا ان تلكموا الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فاضيف العمل اليهم وشكروا عليه

ونظير هذا ما قاله بعض السلف ان العبد اذا اذنب ثم قال يارب انت قضيت علي قال له ربه انت اذنبت وانت عصيت فان قال العبد يارب انا اخطأت وانا اذنبت وانا اسأت قال الله تعالى انا قضيت عليك وقدرت وانا اغفر لك

ومما يحقق به قول النبي ﷺ ان يدخل احد الجنة بعمله اولن ينجي احدا عمله ان مضاعفة الحسنات انما هي من فضل الله عز وجل واحسانه حيث جازى بالحسنة عشرا ثم ضاعفها الى سبع مائة ضعف الى اضعاف كثيرة فهذا كله فضل منه عز وجل ولو جازى بالحسنة مثلها كالسيئات لكان يهلك صاحب العمل لامحالة كما قال ابن مسعود رضي الله عنه في صفة الحسنات ان كان وليا لله ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة وان كان شقيا قال الملك يارب فنيت حسناته وبقي له طالبون كثير قال خذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكا الى النار. فتبين بهذا ان من اراد الله سعادته اضعف الله له الحسنات حتى يستوفي منها الغرماء ويبقى له مثقال ذرة فتضاعف له ويدخل بها الجنة وذلك من فضل الله ورحمته ومن اراد شقاوته وله غرماء لم تضاعف حسناته كما تضاعف لمن اراد الله سعادته بل يضاعفها عشرا فتقسم على الغرماء فيستوفونها كلها وتبقى لهم عليه مظالم فيطرح عليه من سيئاتهم فيدخل بها النار فهذا عدله وذلك فضله ومن هنا قال يحيى بن معاذ اذا بسط فضله لم يبق لاحد سيئة واذا جاء عدله لم يبق لاحد حسنة . وايضا فقد ثبت عن النبي ﷺ انه قال من نوقش الحساب هلك وفي رواية عذب وفي رواية خصم . وخرج ابو نعيم من حديث علي مرفوعاً اوحى الله الى نبي من الانبياء انبياء بني اسرائيل قل لاهل طاعتي من امتك لايتكلوا على اعمالهم فاني لااناضر (١) عبدا الحساب يوم القيامة أشاء اعذبه الا عذبته وقل لاهل معصيتي من امتك لايقنطوا بايديهم فاني اغفر الذنب العظيم ولاابالي

وقال عبد العزيز بن ابي رواد اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وانذر المصدقين فكأنه عجب فقال يارب أبشر المذنبين وانذر المصدقين قال نعم بشر المذنبين انه لايتعاظمني ذنب اغفره وانذر المصدقين اني لاأضع عدلي وحسابي على عبد الا هلك

وقال ابن عيينة المناقشة سوء الاستقصاء حتى لايترك منه شيء

(١) في الاصل اناضر ولعل صوابه اناظر فليحرر

وقال ابن زيد : الحساب الشديد الذي ليس فيه شيء من العفو . والحساب اليسير الذى تغفر ذنوبه وتتقبل حسناته . فتبين بهذا ان لا نجاة للعبد بدون المغفرة والرحمة والتجاوز وانه متى اقيم العدل المحض على عبد هلك . ومما يبين ذلك ايضا قوله تعالى (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) فهذا يدل على ان الناس يسألون عن النعيم فى الدنيا هل قاموا بشكره ام لا ؟ فمن طولب بالشكر على كل نعمة من عافية وستر وصحة جسم وسلامة حواس وطيب عيش واستقصى على ذلك لم تف اعماله كلها بشكر بعض هذه النعم وتبقى سائر النعم غير مقابلة بشكر فيستحق صاحبها العذاب بذلك

وخرج الخرايطي فى كتاب الشكر من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً يؤتى بعبد يوم القيامة فيوقف بين يدى الله عز وجل فيقول للملائكة انظروا في عمل عبدى ونعمى عليه فينظرون فيقولون ولا بقدر نعمة واحدة من نعمك عليه فيقول انظروا فى عمله سيئه وصالحه فيجدونه كفافاً فيقول عبدى قد قبلت حسناتك وغفرت لك سيئاتك وقد وهبت لك نعمى فيما بين ذلك

وخرج الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً ان الرجل يأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقدم النعمة من نعم الله فتكاد ان تستنفد ذلك الا ان يتطاول (١) الله برحمته

وخرج ابن ابى الدنيا من حديث انس رضي الله عنه مرفوعاً يؤتى بالنعم يوم القيامة ويؤتى بالحسنات و السيئات فيقول الله لنعمة من نعمه خذى حقك من حسناته فما تترك له حسنة الا ذهبت بها . وباسناده عن وهب بن منبه قال عبد عابد خمسين سنة فاوحى الله اليه انى قد غفرت لك قال يارب كيف تغفر لى ولم اذنب فأذن الله لعرق فى عنقه فضرب عليه فلم ينم ولم يصل ثم سكن ونام واتاه ملك فشكا اليه ما لقي من ضربان العرق فقال الملك ان ربك عز وجل يقول عبادتك خمسين

(١) لعله يتطول

سنة تعدل سكون ذلك العرق . وفى صحيح الحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعا عن جبريل عليه السلام ان عابدا عبد ربه (١) ان يقبضه ساجدا قال جبريل فنحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا ونجد فى العلم انه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عزوجل فيقول الله عزوجل ادخلوا عبدى الجنة برحمتي فيقول العبد بعملي يارب يفعل ذلك ثلاث مرات ثم يقول الله تعالى للملائكة قايسوا عبدى بنعمى عليه و بعمله فيجدون نعمة البصر قد احاطت بعبادة خمسمائة سنة و بقيت نعمة الجسد له فيقول ادخلوا عبدى النار فيجر الى النار فينادى برحمتك يارب ادخلنى الجنة فيدخله الجنة قال جبريل انما الاشياء برحمة الله يامحمد فمن حقق معرفة هذه الامور عرف ان العمل وان عظم فانه لايستقل بنجاة العبد ولا يستحق به على الله دخول الجنة ولا النجاة من النار وحينئذ فيفلس العبد من عمله و ييأس من الاتكال عليه ومن النظر اليه وان كثر العمل وحسن فكيف بمن ليس له عمل كثير وليس له عمل حسن؟ فان هذا ينبغى أن يشغله الفكر فى التقصير فى عمله و يشتغل بالتوبة من تقصيره و الاستغفار منه فاما من حسن عمله وكثر فانه ينبغي له ان يشتغل بالشكر عليه فان ذلك من اعظم نعم الله على عبده فيجب مقابلته بالشكر عليه وبرؤية التقصير فى القيام بشكره كما كان وهيب بن الورد اذا سئل عن اجر عمل من الاعمال يقول لاتسألون عن اجره ولكن سلوا عن مايجب على من هدى له من الشكر عليه

وكان ابو سليمان يقول كيف يعجب عاقل بعمله وانما يعد العمل نعمة من نعم الله عزوجل انما ينبغي له ان يشكر ويتواضع انما يعجب بعمله القدرية الذين لايرون اعمال العباد مخلوقة لله عزوجل . وما احسن ما قال ابو بكر النهشلى يوم مات داود الطائى وقام ابن السماك بعد دفنه يثنى عليه بصالح عمله و يبكى والناس يبكون و يصدقون مقالته و يشهدون بما يثنى به عليه فقام ابو بكر النهشلى فقال اللهم اغفر له وارحمه ولا تكله الي عمله

(١) سقط من هنا كلام مضمونه انه عبد ربه فسأل الله ان يقبضه ساجدا فقبض روحه ساجدا

وفى سنن ابى داود عن زيد بن ثابت مرفوعاً لو عذب الله اهل سمواته واهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم

وفي صحيح الحاكم عن جابر رضي الله عنه أن رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال واذنوباه واذنوباه قالها مرتين او ثلاثا فقال رسول الله ﷺ قل اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبى ورحمتك ارجي عندى من عملي فقالها ثم قال عد فعاد فقال قم فقد غفر الله لك وقيل فى هذا المعنى

ذنوبي اذا فكرت فيها كثيرة * ورحمة ربي من ذنوبى اوسع
وماطمعى في صالح قد عملته * ولكننى في رحمة الله اطمع

فاذا تقرر ذلك اي هذا الاصل العظيم وعلم ان العمل بنفسه لا يوجب النجاة من النار ولا دخول الجنة فضلاً عن ان يوجب بنفسه الوصول الى اعلى ما فى الجنة من منازل المقربين والنظر الى وجه رب العالمين وانما ذلك كله برحمة الله وفضله ومغفرته فذلك يوجب على المؤمن ان يقطع نظره عن عمله بالكليه وان لا ينظر الا الى فضل الله ومنته عليه كما سئل بعض العارفين اي الاعمال افضل ؟ قال رؤية فضل الله عزوجل وانشد

ان المقادير اذا ساعدت * الحقت العاجز بالحازم

فيتعين على العبد المؤمن الطالب للنجاة من النار ولدخول الجنه وللقرب من مولاه والنظر اليه فى دار كرامته ان يطلب ذلك بالاسباب الموصلة الي رحمة الله وعفوه ومغفرته ورضاه ومحبته. فبها ينال ماعند الله من الكرامة اذ الله سبحانه وتعالى قد جعل للوصول الى ذلك اسبابا من الاعمال الصالحة التى جعلها موصلة اليها وليس ذلك موجودا الا فيما شرعه الله لعباده على لسان رسوله ﷺ واخبر عنه رسوله انه يقرب الى الله ويوجب رضوانه ومغفرته وانه مما يحبه الله او أنه احب الاعمال الى الله عزوجل قال الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال تعالى ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون

فالواجب على العبد البحث عن خصال التقوى وخصال الاحسان التي شرعها الله في كتابه اوعلى لسان رسوله ﷺ والتقرب بذلك الى الله عزوجل فانه لاطريق للعبد يوصله الى رضا مولاه وقربه ورحمته وعفوه ومغفرته سوى ذلك وقد اشار النبي ﷺ في هذه الاحاديث المشار اليها في اول الجزء من رواية عائشة رضي الله عنها وابي هريرة رضي الله عنه الى ان احب الاعمال الى الله شيئان . احدهما اداوم عليه صاحبه وان كان قليلا وهكذا كان عمل النبي ﷺ وعمل آله وازواجه من بعده وكان ينهى عن قطع العمل وقال لعبدالله بن عمرو بن العاص لاتكن مثل فلان كان يقوم الليل فتركه اى قيام الليل وقال يستجاب لاحدكم مالم يعجل فيقول قد دعوت فلم ار يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء

قال الحسن اذا نظر اليك الشيطان فرآك مداوماً على طاعة الله عزوجل فبغاك وبغاك فرآك مداوماً ملك ورفضك واذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك والثاني ان احب الاعمال الى الله ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير دون ما كان على وجه التكليف والاجتهاد والتعسير كما قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان النبي ﷺ يقول يسروا ولاتعسروا انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين

وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قيل لرسول الله ﷺ أي الاديان احب الى الله عز وجل ؟ قال الحنيفية السمحة وفيه ايضا عن محجن بن الادرع ان النبي ﷺ دخل المسجد فرأى رجلا قائما يصلي فقال أتراه صادقاً ؟ فقيل يانبي الله هذا فلان هذا من احسن اهل المدينة اومن اكثر اهل المدينة صلاة فقال لا تسمعه فتهلكه مرتين اوثلاثا انكم امة اريد بكم اليسر وفي رواية اخرى له قال ان خير دينكم ايسره وفي رواية اخرى له انكم لن تنالوا هذا الامر بالمغالبه وخرج حميد بن زنجويه وزاد فيه فقال واكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لايمل حتى تملوا الغدوة والروحة وشيء من الدلجة

وفي المسند عن بريدة قال خرجت ذات يوم لحاجة فاذا بالنبي عليه الصلاة والسلام يمشي بين يدى فأخذ بيدى فانطلقنا نمشي جميعا فاذا نحن بين ايدينا رجل يكثر الركوع والسجود فقال النبي ﷺ اتراه يرائى ؟ فقلت الله ورسوله اعلم فترك يدى من يده ثم جمع بين يديه فجعل يصوبهما ويرفعهما ويقول عليكم هديا قاصدا عليكم هدياً قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه وقد روي من وجه آخر مرسلا وفيه ان النبي ﷺ قال ان هذا آخذ بالعسر ولم يأخذ باليسر ثم دفع في صدره فخرج من المسجد ولم ير فيه بعد ذلك . وقد انكر النبي ﷺ على من عزم على التبتل والاختصاء وقيام الليل وصيام النهار وقراءة القرآن كل ليلة كعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون والمقداد وغيرهم وقال ولكني اصوم وأفطر واقوم وانام وانزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وانتهى بعبدالله بن عمرو أن يقرى القرآن في كل سبع وفي رواية انه انتهى الى قراءته في ثلاث وقال لا يفقه من قرأه في اقل من ثلاث وانتهى به في الصيام الى صيام داود وقال لا افضل من ذلك وفي القيام الى قيام داود عليه السلام فقوله ﷺ في حديث ابي هريرة وعائشة سددوا وقاربوا المراد بالتسديد العمل بالسداد وهو القصد والتوسط في العبادة فلا يقصر فيما امر به ولا يتحمل منها ما لا يطيقه وقال النضر بن شميل السداد القصد في الدين والسبيل وكذلك المقاربة المراد بها التوسط بين التفريط والافراط فهما كلمتان بمعنى واحد او متقارب وهو المراد بقوله في الرواية الاخرى وعليكم هدياً قاصدا قوله وابشروا يعني ان من مشى في طاعة الله على التسديد والمقاربة فليبشر فانه يصل ويسبق الدائب المجتهد في الاعمال فان طريقة الاقتصاد والمقاربة افضل من غيرها فمن سلكها فليبشر بالوصول فان الاقتصاد في سنة . خير من الاجتهاد في بدعة . وخير الهدي هدي محمد ﷺ فمن سلك طريقه كان اقرب الى الله من غيره وليست الفضائل بكثرة الاعمال البدنية لكن بكونها خالصة لله صواباً على متابعة السنة وبكثرة معارف القلوب واعمالها فمن كان بالله اعرف وبدينه واحكامه وشرائعه اعلم وله اخوف واحب وارجى فهو افضل

ممن ليس كذلك وان كان اكثر منه عملا بالجوارح والى هذا المعنى الاشارة في حديث عائشة رضى الله عنها في قوله ﷺ سددوا وقاربوا واعلموا انه لايدخل الجنة احدا منكم عمله وان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فامر بالاقتصاد في العمل وان يضم الى ذلك العلم بانه احب الاعمال الى الله وبان العمل وحده لايدخل الجنة وهذا قال بعض السلف ما سبقهم ابو بكر بكثرة صوم ولاصلاة ولكن بشيء وقر في صدره

وقال بعضهم الذي في صدر ابي بكر رضي الله عنه المحبة لله ولرسوله والنصيحة لعباده . وقال طائفة من العارفين مابلغ من بلغ بكثرة صيام ولاصلاة ولكن بسخاوة الانفس وسلامة الصدور والنصيحة للامة زاد بعضهم وبذم نفوسهم وقال آخر منهم انما تفاوتوا بالارادات ولم يتفاوتوا بكثرة الصيام والصلاة

وذكر لابي سليمان طول اعمار بني اسرائيل وشدة اجتهادهم في الاعمال وان من الناس من غبطهم بذلك فقال انما يريد الله منكم صدق النيه فيما عنده او كما قال قال ابو يزيد رأيت رب العزة في المنام فقلت له يارب كيف الطريق اليك ؟ فقال أترك نفسك وتعال . ماأعطيت أمة من الامم ماأعطيت هذه الامة ببركة متابعة نبيها ﷺ حيث كان أفضل الخلق وهديه أفضل الهدي مع ما يسر الله على يديه من دينه ووضع به من الآصار والاغلال عن أمته فمن اطاعه فقد أطاع الله وأحب الله واهتدى بهدى الله — فمن جملة ماحصل لامته ببركته وتيسير شريعته أن من صلى منهم العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله فيكتب له قيام ليلته وهو نائم على فراشه لاسيما إن نام على طهر وذكر الله حتى تغلبه عيناه ومن صام منهم ثلاثة ايام من كل شهر فقد صام الشهر كله فهو صائم لبقية الشهر في ضيافة الله ومفطر له في رخصة الله والطاعم الشاكر له أجر الصائم الصابر ومن نوى أن يقوم من الليل فغلبته عيناه فنام كتب له مانوى وكان نومه عليه صدقة ، وقال أبو الدرداء : ياحبذا نوم الاكياس وفطرهم ولهذا جاء

فى الحديث الصحيح رب قائم حظه من قيامه السهر وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش * وقال بعضهم : كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم. هذا استغفر وقلبه فاجر وهذا ساكت وقلبه ذاكر * وقال ابن مسعود رضى الله عنه لاصحابه أنتم أكثر صوما وصلاة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم خير منكم قالوا بم ذلك ؟ قال كانو أزهد منكم فى الدنيا وأرغب فى الآخرة يشير الى أن اصحاب رسول الله ﷺ فاقوا على من بعدهم بشدة تعلق قلوبهم بالآخرة ورغبتهم فيها واعراضهم عن الدنيا وتصغيرها واحتقارها وان كانت فى ايديهم فكانت قلوبهم منها فارغة وبالآخرة ممتلئة وهذه الحال ورثوها من نبيهم ﷺ فانه أشد الخلق بقلبه فراغا(١) من الدنيا وتعلقا بالله وبالدار الآخرة مع ملابسته للخلق بظاهره وقيامه بأعباء النبوة وسياسة الدين وكذلك خلفاؤه الراشدون من بعده وكذلك اعيان التابعين لهم باحسان كالحسن وعمر بن عبد العزيز وقد كان فى زمانهم من هو اكثر منهم صوما وصلاة ولكن لم يصل قلبه الى ما وصلت اليه قلوبهم من ارتحالها عن الدنيا وتوطنها للآخرة فأفضل الناس من سلك طريقة النبى ﷺ وخواص اصحابه فى الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد فى الاحوال القلبية فان سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الأبدان

جاء رجل الى بعض العارفين فقال له قطعت اليك المسافة قال ليس هذا الأمر بقطع المسافة فارق نفسك بخطوة فاذا بك قد حصل لك مطلوبك

وقال بعضهم ليس الشان فيمن يقوم الليل انما الشان فيمن ينام الليل على فراشه ثم يصبح وقد سبق الركب وفى ذلك قيل

من لى بمثل سيرك المدلل * تمشى رويدا وتجى فى الاول

وقوله ﷺ اغدوا وروحوا وشيء من الدلجة يعني ان هذه الاوقات الثلاثة تكون اوقات السير الى الله بالطاعات وهي آخر الليل واول النهار وآخره وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الاوقات في قوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل

(١) هكذا فى الاصل وهو كثير التحريف ولعل اصل العبارة فان قلبه اشد فراغا الخ

فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود . وذكر الله سبحانه وتعالى في طرفي النهار مواضع كثيرة في كتابه كقوله ياايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقال واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار في ذكر زكريا عليه السلام وقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا وقال وسبح بالعشي والابكار فهذه الاوقات الثلاثة منها وقتان وهما اول النهار وآخره يجتمع في كل هذين الوقتين عملان عمل واجب وعمل تطوع فاما الواجب فهو صلاة الصبح وصلاة العصر وهما افضل الصلوات الخمس وهما البردان اللذان من حافظ عليهما دخل الجنة وقد قيل في كل منهما انها الصلاة الوسطى واما التطوع فهو ذكر الله بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس وقد ورد في فضله نصوص كثيرة وكذلك وردت النصوص الكثيرة في اذكار الصباح والمساء وفي فضل من ذكر الله حين يمسي وحين يصبح وقد روي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ابن آدم اذكرني ساعة من اول النهار وساعة من آخره اغفر لك مابين ذلك الا الكبائر او تتوب منها وكان السلف الصالح لآخر النهار اشد تعظيما من اوله قال ابن المبارك بلغنا انه من ختم نهاره بذكر الله كتب نهاره كله ذكرا . وقال ابو الجلد بلغنا ان الله ينزل مساء كل يوم الى السماء الدنيا ينظر الى اعمال بني آدم . ورأى بعض السلف اباجعفر القارئ في المنام فقال له قل لابي حازم يعني الاعرج الزاهد الكيس ان الله وملائكته يتراءون مجلسك بالعشيات والظاهر ان اباحازم كان يقص على الناس آخر النهار وقد جاء في الحديث ان الذكر بعد الصبح افضل من اربع رقاب و بعد العصر احب من

ثمان رقاب وايضا فيوم الجمعة آخره افضل من اوله لما يرجى في آخره من ساعة الاجابه ويوم عرفة آخره افضل من اوله لانه وقت الوقوف وكذلك آخر الليل افضل من اوله كذا قال السلف واستدلوا بحديث النزول الالهي وهذا كله مما يرجح به قول من قال ان صلاة العصر هي الوسطى واما الوقت الثالث فهو الدلجة والادلاج سير آخر الليل والمراد به هاهنا العمل في آخر الليل وهو وقت الاستغفار كما قال تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال وبالاسحار هم يستغفرون وهو آخر اوقات النزول الالهي المتضمن لاستعراض الحوائج اي حوائج السائلين واستغفار المذنبين وتوبة التائبين. وسط الليل للمحبين للخلوة بحبيبهم . وآخر الليل للمذنبين يستغفرون لذنوبهم . من عجز عن مشاركة المحبين في الجري معهم في ذلك المضمار فلا اقل من مشاركة المذنبين في الاعتذار * ورد في بعض الآثار ان العرش يهتز من السحر وفي الحديث الذي اخرجه الترمذي من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل . سير الدلجة آخر الليل يقطع به سفر الدنيا والآخرة ولهذا في الحديث الذي خرجه مسلم اذا سافرتم فعليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل قال بعض الفضلاء

اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح الى الطاعات في البكر
لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها * فالهم يتلف بين اليأس والضجر
اني رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في أمر يؤمله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وقد روي ان الاشتر دخل على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين صوم بالنهار وسهر بالليل وتعب فيما بين ذلك ؟ فلما فرغ من صلاته قال . سفر الآخرة طويل . فيحتاج الى قطعه بسير الليل . وهو الادلاج

كانت امراة حبيب ابي محمد الفارسي توقظه بالليل وتقول قم يا حبيب فان الطريق بعيد وزادنا قليل وقوافل الصالحين قد سارت من بين ايدينا ونحن قد بقينا

شعر يا نائم بالليل كم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد

وخذ من الليل واوقاته * وردا اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل او يجهد

وقوله ﷺ القصد القصد تبلغوا حث على الاقتصاد في العبادة والتوسط فيها بين الغلو والتقصير ولذلك كرره مرة بعد مرة وفي مسند البزار من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعا ما احسن القصد في الفقر وما احسن القصد في الغنى وما احسن القصد في العبادة . وكان لمطرف بن عبد الله بن الشخير ابن قد اجتهد في العبادة فقال له ابوه خير الامور اوسطها . الحسنة بين السيئتين . وشر السير الحقحقة (١) قال ابو عبيد يعني ان الغلو في العبادة سيئة والتقصير سيئة والاقتصاد بينهما حسنة قال والحقحقة ان يلح في شدة السير حتى تقوم عليه راحلته وتعطب فيبقى منقطعا به سفره انتهى ويشهد لهذا المعنى الحديث المروي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا سفرا (٢) قطع ولا ظهرا ابقى فاعمل عمل امرء يظن انه لن يموت الا هرما واحذر حذر امرء يحذر ان يموت غداً اخرجه حميد بن زنجويه وغيره وفي تكريره بالقصد اشارة الى المداومة عليه فان شدة السير والاجتهاد مظنة السآمة الانقطاع والقصد اقرب الى الدوام ولهذا جعل عاقبة القصد البلوغ كما قال من لج بلغ المنزل فالمؤمن في الدنيا يسير الى ربه حتى يبلغ اليه كما قال تعالى ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال الحسن ياقوم المداومة المداومة فان الله لم يجعل لعمل المؤمن اجلا دون الموت ثم تلا هذه الآيه وقال ايضا نفوسكم مطاياكم فاصلحوا مطاياكم تبلغوا الى ربكم عز وجل والمراد باصلاح المطايا الرفق بها وتعاهدها بما يصلحها من قوتها والرفق بها في سيرها فاذا احس منها بتوقف في السير تعاهدها تارة بالتشويق وتارة

١) الحقحقة المتعب من السير وقيل هو ان تحمل الدابة على ما لا تطيقه من السير
٢) الرواية المشهورة لا ارضا قطع

بالتخويف حتى تسير قال بعض السلف الرجا قائد والخوف سايق والنفس بينهما كالدابة الحرون فاذا فتر قائدها وقصر سائقها وقفت فتحتاج الى الرفق بها والحدو لها حتى يطيب لها السير كما قال حادي الابل بالبوادي

بشرها دليلها وقالا * غدا ترين الطلح و الجبالا

ولما كان الخوف كالسوط فمتى الح بالضرب بالسوط على الدابة تلفت (١) فلا بد لها مع الضرب من حادى الرجاء يطيب لها السير بحدائه حتى تقطع (٢) قال ابو يزيد ما زلت اقود نفسى الى الله وهى تبكى حتى سقتها وهي تضحك كما قيل

اذا شكت من كلال السير اوعدها * روح القدوم فتحيا عند ميعاد

قال خليه (٣) العصرى ان كل حبيب (٤) يلقى حبيبه فأحبوا ربكم وسيروا اليه سيرا جميلا لا مصعدا ولا ميكا ؟ فغاية السير يوصل المؤمن الى ربه ومن لا يعرف الطريق الى الله ولا يسلك اليه فيه فهو والبهيمة سواء

قال ذو النون : السفلة من لا يعرف الطريق الى الله ولا يتعرفه والطريق الى الله هو سلوك صراطه المستقيم الذى بعث الله به رسوله ﷺ وانزل به كتابه وامر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه . قال ابن مسعود رضي الله عنه الصراط المستقيم تركنا محمد ﷺ فى ادناه وطرفه فى الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثم رجال يدعون من مر بهم فمن اخذ فى تلك الجواد انتهت به الى النار ومن اخذ على الصراط انتهى به الى الجنة . ثم قرأ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله خرجه ابن جرير وغيره فالطريق الموصل الى الله واحد وهو صراطه المستقيم وبقية السبل كلها سبل الشيطان من سلكها قطعت به عن الله واوصلته الى دار سخطه وغضبه وعقابه فربما سلك الانسان فى اول امره على الصراط المستقيم ثم ينحرف عنه آخر عمره فيسلك بعض سبل

(١) تلفها ان يبلغ بها الخوف حد اليأس ولهذا قيل الخوف سوط يسوق و يعوق فمن الح على الدابة بالضرب تلفت وحرنت (٢) تقطع لعل الصواب تطير

(٣) كذا بالاصل وليحرر (٤) لعل هنا ساقطا اصله يحب ان يلقى الخ

الشيطان فينقطع عن الله ويهلك . ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار وربما سلك الرجل اولا بعض سبل الشيطان فتدركه السعادة فيسلك الصراط المستقيم فى آخر عمره فيصل به الى الله والشأن كل الشأن فى الاستقامة على الصراط المستقيم من اول السير الى الله . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم . ما اكثر من يرجع من اثناء الطريق او ينقطع فان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة

خليلى قطاع الطريق اليكما * كثير واما الواصلون قليل

وفى الحديث الصحيح الالهى يقول الله عز وجل من تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعاً ومن اتانى يمشى اتيته هرولة . وفى المسند زيادة والله أعلى واجل والله اعلى واجل والله اعلى واجل وفيه ايضا يقول الله يا ابن آدم قم الي امشى اليك وامش الي اهرول اليك

من اقبل الينا تلقيناه من بعيد ، ومن اراد مرادنا اردنا ما يريد ، ومن سألنا اعطيناه فوق المزيد ، ومن عمل بقوتنا الذى له الحديد ، ياهذا لو قصدت باب والى الشرطة لما اقبل اليك ولا تلقاك وربما حجبك عن الوصول اليه واقصاك ، وملك الملوك يقول من اتانى يمشى اتيته هرولة وانت عنه معرض وعلى غيره مقبل لقد خسرت اكبر خسران

والله ما جئتكم زائرا * الاوجدت الارض تطوى لى

ولا ثنيت العزم عن بابكم * الا تعثرت باذيالى

يا معشر الريدين قد وضح الطريق فما هذا التأخر عن السلوك والتعويق

لقد وضح الطريق اليك حقا * فما خلق ارادك يستدل

افى الله شك ؟ فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم

ياقومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به

يانفس و يحك قد اتاك هداك * اجيبي فداعي الله قد ناداك

كم قد دعيت الى الرشاد فتعرضي * وأجبت داعي الغي حين دعاك

(الوصول الى الله نوعان) احدهما في الدنيا والثاني في الآخرة ، فاما الوصول الدنيوي فالمراد به ان القلوب تصل الى معرفته فاذا عرفته احبته وانست به فوجدته قريبا ولدعائها مجيبا كما في بعض الآثار ابن آدم اطلبني تجدني ، فان وجدتني وجدت كل شيء ، وان فتك فاتك كل شيء

كان ذوالنون يخرج بالليل فيردد نظره في السماء ويردد هذه الابيات حتى يصبح وهي هذه

اطلبوا لانفسكم * مثل ماوجدت انا * قد وجدت لي سكناً * ليس في هواه عنا

ان بعدت قربني * او قربت منه دنا

واما الوصول الاخروي فالدخول الى الجنة التي هي دار كرامته لاوليائه ولكنهم في درجاتها متفاوتون في القرب بحسب تفاوت قلوبهم في الدنيا بالقرب والمشاهدة قال الله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون

كان الشبلي يهيج في داره وينشد يقول

١ على بعدكم لا صبر * على من عادته القرب

ولا يقوى على حجبك * من تيمه الحب

فان لم ترك العين * ابصرك القلب

الصراط المستقيم في الدنيا يشتمل على ثلاث درجات درجة الاسلام ودرجة الايمان ودرجة الاحسان فمن سلك درجة الاسلام الى ان يموت عليها منعته عن الخلود في النار ولم يكن له بد من دخول الجنة وان اصابه قبل ذلك ما اصابه ومن سلك درجة الايمان الى ان يموت عليها منعته من دخول النار بالكلية فان نور الايمان يطفئ لهب جهنم حتى تقول جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي

(١) كذا بالاصل والصحيح

وفى المسند عن جابر رضي الله عنه مرفوعا لايبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم بردا وسلاما حتى ان للنار ضجيجا من برده هذا ميراث ورثه المحبون من حال ابيهم ابراهيم

ففي فؤاد المحب نار جوى * احر نار الجحيم ابردها

ومن سلك على درجة الاحسان الى ان يموت عليها وصل بعد الموت الى الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة * وفي الحديث الصحيح اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى منادٍ ياأهل الجنة ان لكم عند الله موعداً يريد ان ينجزكموه فيقولون ماهو ؟ الم يبيض وجوهنا الم يثقل موازيننا الم يدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ ؟ فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم ولا اقر لأعينهم من النظر اليه وهي الزيادة ثم تلى للذين احسنوا الحسنى وزيادة . كل اهل الجنة يشتركون في الرؤية ولكن يتفاوتون فى القرب فى حال الرؤية وفي اوقات الرؤية ، عموم اهل الجنة يرونه يوم المزيد وهو يوم الجمعة ، وخواصهم يرون وجهه في كل يوم بكرة وعشيا . العارفون لايسليهم عن محبوبهم قصر ولا يريهم دونه نهر * كان بعضهم يقول اذا جعت فذكره زادي واذا عطشت فشاهدته سؤلي ومرادي (رؤي بعض الصالحين في المنام) بعد موته فسئل عن حال رجلين من العلماء فقال تركتهما الآن بين يدي الله عزوجل يأكلان ويشربان ويتنعمان قيل له فأنت ؟ قال علم قلة رغبتي فى الطعام والشراب فاباحني النظر اليه

انت ربي اذا ظمئت الى الما * ء وقوتي اذا اردت الطعاما

وفى المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه الفي سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه ينظر الى ازواجه من الحور العين وخدمه وان افضلهم منزلة لمن ينظر الى وجه الله تعالى كل يوم مرتين وخرجه الترمذي ولفظه ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جناته وزوجاته ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية

ثم قرأ رسول الله ﷺ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظره وهذا المعنى قال ﷺ في الحديث الصحيح عن جرير بن عبدالله البجلي انكم لترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته قال فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، لما كان هذان الوقتان في الجنة وقتين للرؤية في حق خواص اهل الجنة حض ﷺ على المحافظة على الصلاة في هذين الوقتين في الدنيا فمن حافظ على هاتين الصلاتين في الدنيا وصلاهما على اكمل وجوههما وخشوعهما وحضورهما وآدابهما فانه يرجى له ان يكون ممن يرى الله في هذين الوقتين لاسيما ان حافظ بعدهما على الذكر وانواع العبادة حتى تطلع الشمس اوتغرب فان وصل العبد ذلك بدلجة آخر الليل فقد اجتمع له السير في الاوقات الثلاثة وهي الدلجة والغدوة والروحة فيوشك ان يعقبه الصدق في هذا السير الوصول الاعظم الى ما يطلبه في مقعد صدق عند مليك مقتدر . من لزم الصدق في طلبه اداه الصدق الى مقعد الصدق . وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق * المحب لا يقطع السؤال عن من يحب ويحسس الاخبار وينسم الرياح ويستدل بالآثار لسلوك الطريق الى محبوبه

اسائلكم عنها فهل من مخبر * فما لي بنعم بعد مكتتما علم
فلو كنت ادري اين خيم اهلنا * واي بلاد الله اذ ظعنوا امّوا
اذا لسلكت مسلك الريح خلفها * ولو اصبحت نعم ومن دونها النجم

لقد كبرت همة الله مطلوبها ، وشرفت نفوس الله محبوبها ، ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه

ماللمحب سوى ارادة حبه * ان المحب بكل برّ يصرع

قيمة كل امرء مايطلب ، فمن كان يطلب الله فلا قيمة له ، من طلب الله فهو اجل من ان يقوم ، ومن طلب غيره فهو اخس من ان يكون له قيمة

قال الشبلي من ركن الى الدنيا احرقته بنارها فصار رماداً تذروه الرياح ، ومن ركن الى الآخرة احرقته بنورها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ، ومن ركن الى الله احرقه بنور التوحيد فصار جوهراً لا قيمة له

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى اجل من الدهر

سئل الشبلي هل ينتفع المحب بشيء من حبيبه قبل مشاهدته فانشد

والله لو انك توجتني * بتاج كسرى ملك المشرق

ولو بأموال الورى جدت لي * اموال من باد ومن قد بقي

وقلت لي لا تلتقي ساعة * اخترت يا مولاي ان نلتقي

من كبرت همته لم يرض بشيء سوى الله سبحانه وتعالى

(١) كل غدوي ورواحي * في مساء وصباحي

وكذا ذكرك روحي * ثم ريحاني وراحي

انت سؤلي ونصيبي * ومرادي ونجاحي

يا غياثي وملاذي * لرشادي وصلاحي

(فصل) في قوله تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون هذه الآية كانت تشتد على الخائفين من العارفين فانها تقتضي ان من العباد من يبدو له عند لقاء الله مالم يكن يحتسب مثل ان يكون غافلا عن ما بين يديه معرضاً عنه غير ملتفت اليه ولا يحتسب له فاذا كشف الغطاء عاين تلك الاهوال الفظيعة فبدا له ما لم يكن في حسابه ولهذا قال عمر رضي الله عنه لو ان لي ملء الارض ذهباً لافتديت به من هول المطلع وفي الحديث لا تمنوا الموت فان هول المطلع شديد وان من سعادة المرء ان يطول عمره ويرزقه الله الانابة .

قال بعض حكماء السلف كم من موقف خزي يوم القيامة لم يخطر على بالك قط . ونظير هذا قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويشتمل على ما هو اعم من ذلك وهو

(١) كذا بالاصل والصحيح

أن يكون له اعمال يرجو بها الخير فتصير هباء منثوراً وتبدل سيئات وقد قال تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء الآية وقال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً قال الفضيل في هذه الآية وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ، قال عملوا اعمالا فحسبوا انها حسنات فاذا هي سيئات وقريبا من هذا ان يعمل الانسان ذنبا يحتقره ويستهين به وهو عند الله عظيم وقال بعض الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات ، واصعب من هذا من زين له سوء عمله فرآه حسناً قال تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ؟ قال ابن عيينة لما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة جزع فدعوا له ابا حازم فجاء فقال له ابن المنكدر ان الله تعالى يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فاخاف ان يبدو لي من الله ما لم اكن احتسب فجعلا يبكيان جميعاً خرجه ابن ابي الدنيا وزاد ابن ابي الدنيا فقالوا له دعوناك لتخفف عنه فزدته

وقال الفضيل اخبرت عن سليمان التيمي انه قيل له انت انت ومن مثلك ؟ فقال مه لا تقولوا هذا لا ادري ما يبدو لي من الله سمعت الله يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

وكان سفيان الثوري عند هذه الآية يقول ويل لاهل الرياء من هذه الآية وهذا كما في حديث الثلاثة الذين هم اول من تسعر بهم النار ، العالم ، والمتصدق ، والمجاهد ، وكذلك من عمل اعمالا صالحة وكانت عليه مظالم فهو يظن ان اعماله تجيء فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب فيقتسم الغرماء اعماله كلها ثم يفضل لهم فضل فيطرح من سيئاتهم عليه ثم يطرح في النار وقد يناقش الحساب فيطلب منه شكر النعم فاصغرها تستوعب اعماله كلها وتبقى بقية النعم فيطالب بشكرها فيعذب ولهذا قال عليه الصلاة والسلام من نوقش الحساب

عذب اوهلك وقد يكون له سيئات تحبط اعماله واعمال جوارحه سوى التوحيد فيدخل النار

وفي سنن ابن ماجه من رواية ثوبان مرفوعا ان من امتي من يجيء باعمال امثال الجبال فيجعلها الله هباء منثوراً وفيه هم قوم من جلدتكم ويتكلمون بألسنتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم اذا خلو بمحارم الله انتهكوها وخرج يعقوب بن شيبة وابن ابي الدنيا من حديث سالم مولى ابى حذيفة مرفوعا ليجيئن يوم القيامة اقوام معهم من الحسنات مثل جبال تهامة حتى اذا جيء بهم جعل الله اعمالهم هباء ثم اكبهم في النار قال سالم خشيت ان اكون منهم قال اما انهم كانوا يصومون ويصلون ويأخذون هنيهة من الليل لعلهم كانوا اذا عرض لهم شيء من الحرام اخذوه فأدحض الله اعمالهم وقد يحبط الله العمل بآفة من رياء خفي وعجب به ونحو ذلك ولا يشعر به صاحبه

قال ضيغم العابد ان لم تأت الآخرة المؤمن بالسرور لقد اجتمع عليه هما ن هم الدنيا وشقاء الاخرة فقيل له كيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو يتعب في دار الدنيا ويدأب ؟ قال كيف بالقبول كيف بالسلامة ؟؟ كم رجل يرى انه قد اصلح عمله يجمع ذلك كله يوم القيامة ثم يضرب به وجهه ومن هنا كان عامر بن قيس وغيره يقلقون من هذه الآية انما يتقبل الله من المتقين

وقال ابن عون لا تثق بكثرة العمل فانك لا تدري ايقبل منك ام لا ؟ ولا تأمن ذنوبك فانك لا تدري هل كفرت عنك ام لا ؟ ان عملك مغيب عنك كله لا تدري ما الله صانع به ؟ وبكى النخعي عند الموت وقال اسطار رسول ربي ما ادري ايبشرني بالجنة ام بالنار ؟ جزع غيره عند الموت فقيل له أتجزع ؟ قال انما هي ساعة ولا ادري اين يسلك بي ؟ وجزع بعض الصحابة عند الموت فسئل عن حاله فقال ان الله قبض خلقه قبضتين قبضة للجنة وقبضة للنار واست ادري اي القبضتين انا ؟ *ومن تأمل هذا حق التأمل اوجب له القلق فان ابن آدم متعرض لاهوال عظيمة من الموت واهوال القبر والبرزخ

واهوال الموقف والصراط والميزان واعظم من ذلك الوقوف بين يدي الله عز وجل ودخول النار ويخشى على نفسه الخلود فيها بان يسلب ايمانه عند الموت ولم يأمن المؤمن شيئاً من هذه الامور ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فتحقيق هذا يمنع ابن آدم القرار * راى بعضهم قائلا يقول له

وكيف تنام العين وهي قريرة * ولم تدر في اى المحلين تنزل

وسئل بعض الموتى وكان عابدا مجتهدا عن حاله فانشد يقول

وليس يعلم ما في القبر داخله * الا الاله وساكن الاجداث

وقال غيره

اما والله لو علم الانام * لما خلقوا لما غفلوا وناموا

لقد خلقوا لما لو ابصرته * عيون قلوبهم تاهوا وهاموا

مماتٌ ثم قبرٌ ثم حشرٌ * وتوبيخ واهوال عظام

ليوم الحشر قد عملت رجال * فصلوا من مخافته وصاموا

ونحن اذا امرنا اونهينا * كأهل الكهف ايقاظ نيام

آخره تم والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى اله وصحبه اجمعين

ليس السعيد الذي دنياه تسعده * ان السعيد الذي ينجوا من النار